العنوان:	التجميل والتزيين والأزياء الشعبية
المصدر:	مجلة الفنون الشعبية
الناشر:	الهيئة المصرية العامة للكتاب
المؤلف الرئيسي:	صالح، أحمد رشدي
المجلد/العدد:	ع 22
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1988
الشهر:	مارس
الصفحات:	67 - 78
رقم MD:	525688
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الجمال والتجميل ، الزينة والأزياء الشعبية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/525688

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التجميل والتزيين والأزياء الشعبية

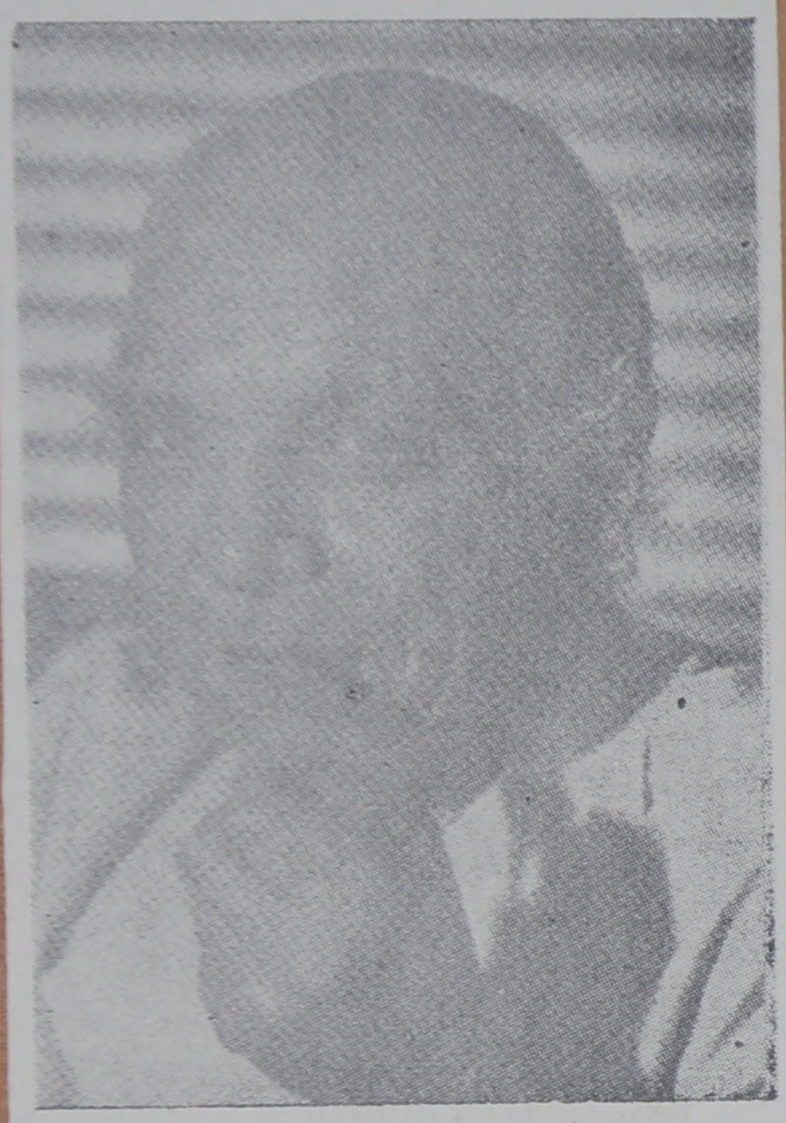

أحمد رشدى صالح

من الملاحظ أن المأثورات الشعبيـة غنية جدا بالحديث عن الجمال والتجميل والزينة والأزياء الشعبية ٠

ولكن لماذا يبـــدى الرجل والمرأة الشعبيان كل هذا الاهتمـــام بالحـديث عن الجمال والتزين والأزياء ؟ هذا السؤال يفتح أوسع الأبواب أمامنـا لنتحدث عن الأسلوب الذى يستقبل به الانســـان الشعبى معطيات الحياة فى مختلف مراحلها وفى شتى جوانبها ، هذا الأسلوب حسى للغاية ،يعتمد على التقاط الحواس : السمع والبصر واللمس ، والتـذوق لكل الأشـــياء والكائنات ٠

هذا أولا ٠

والأمر الثانى أن الانسان الشـعبى يجمع أو يلتقط معارفه الأولى بواســطة الحواس التى يتراكم عن طريقهـــا ، وعن طريق ممارسة الحياة اليوميـة ذاتهـــا ما نسميه نحن بالمعرفة التلقائيـة ـ أى الثقافة السائدة التى تتضمن مجموعة من القواعد والضـوابط التى تؤلف الموازين والمقاييس التى تضبط نظرته الى الأشياء والناس وتتحكم فى ذوقه ومزاجه ٠

وهناك نرعان من المقاييس بالنسبة للجمال البشرى والأول مقياس ثابت – وخلاصته : ان الجمال البشرى فى الرجل والمرأة نسبى الى زمانه ومكانه والمقياس الثانى متغير نتيجة لتغير القيم ، والسلوك والأمزجة ، وذلك لضغط تغير أسلوب الحياة من ناحية ، والمخالطات الثقافية من ناحية ثانية ·

وفى المأثورات الشعبية العربية نجد أن كلمة الجمال ليست هى وحدها المستخدمة ، فهناك كلمات الحسن والبهاء والحلاوة ، والرجل العايق والرجل الذى يبالغ فى التجميل يوصف بأنه عيوق ·

كما أن هناك صفات مختلفة موجودة فى الأغانى والأقوال السائرة ، تصف الشخص الجميل نفسه – رجلا أو امرأة – عندما يتأنق ويتجمل : كأن تصفه بالمعجبانى ، وذات الدلال ولا داعى لايراد الكلمات الأخرى – فقد يساء فهمها ·

وهناك أكثر من مصدر لأقدم صورة للمرأة الجميلة فى المأثورات الشعبية ، فنجد المصدر القديم جدا الذى سبق الفتح الاسلامى للبلاد العربية والذى يعود الى بداية التاريخ فى مصر وعصور الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية وغيرها من مواطن الحضارات القديمة ·

وهناك مصدر أحدث عمرا وأحدث تاريخا وهو الذى نشأ بعد استقرار الحياة الاسلامية العربية ·

وكلا المصدرين يؤثران حتى الآن فى رسم صورة المرأة الجميلة أو الرجل الوسيم وأقدم ما لدينا من نماذج المأثورات العربية التى تشير الى شىء من مواصفات الجمال البشرى نجده فى أقدم المواويل وأقدم الموشحات ونلاحظ أن الصفات الجمالية الشخصية منتزعة من الصفات الواردة فى الشعر العربى الفصيح ·

فالمرأة مثلا – ذات قد معتدل ممشوقة القوام كأنها امرأة بدوية يقول موال يرجع الى القرن الحادى عشر :

ما أحسن محبوبى وما أجمله
ما اعدل قده وما أكمله
لا يسمح بالوصال الا غلطا
فى النادر والنادر لا حكم له

وهذا الموال منظوم بلغة فصيحة سهلة ·

وهناك موشح قديم ، استمر جاريا فى الاستعمال فى الشرق العربى حتى أواخر القرن التاسع عشر ·

يقول الموشح :

كحل السحر عيونا
فوق توريد الخدود
وازدرى الأغصان لينا
حسن مياس القدود
والظبا يسطو علينا
بعيون نجل سود
حكمت بالأسر فينا
أعين الظبى الشرود
خده للصب ورد
ولسيف اللحظ جرد
كامل الأوصاف أغيد
مذ غدا فى الحسن مفرد
باسم الثغر يرينا
من لماه عذب الورود
يخجل الدر الثمين
نظم هاتيك العقود

وفى المأثورات السابقة نجد أن صورة المرأة هى المشدودة القوام ، كحيلة العينين ، متوردة الخدين ، باسمة الثغر ، التى يخجل الدر الثمين ويتواضع أمام أسنانها الناصعة البياض ·

والسؤال هو ما هى مواصفات الجمال فى المرأة الشعبية العربية الآن كما ترويها المأثورات الشعبية ؟

هذه المواصفات تختلف من بلد عربى الى بلد آخر ، ومن شريحة اجتماعية الى شريحةاجتماعية أخرى فى مصر وغيرها من البلاد العربية ·

هناك نوعان رئيسيان للمواصفات أو مقاييس الجمال بالنسبة للمرأة · النوع الأول خاص بالمرأة فىالمجتمعات الزراعية : قراها وحواضرها والنوع والثانى خاص بالمرأة فى البيئاتالبدوية والصحراوية ·

ومواصفات الجمـــال فى الحالة الأولى تختلف تماما عن مواصفات الجمال فى الحالة الثانية ·

فأهم مواصفات الجمال فى المرأة التىتسكن الوديان والمناطق الزراعية نسمعها حتى الآن فى أغانى الخطبة والحنة والدخلة · فنجد أمالعروس تنادى العريس ليرى صفات الجمال فى ابنتها فتقول :

أنظر بعينيـــك يا جميـل
بيضـه فى لون الياسـمين
راسهـــا رأس اليمـامه
سبحان الخـــلاق العظيم
يا قورتهـا هـلال شـعبان
يا شعرهـا سـلب الجمال
يا عيونهـــا عيون غـزلان
يا حاجبهـا خطين بجـلام
يا سنانهـا لولى ومرجـان
يا خدودها تفاح الشـام
يا حنكها خـاتم ســليمان
يا صدرهـــا بلاط حمام
يا بطنهـا عجين خمران
يا سرتها قعر الفنجـان
يا نهودهـا فحول رمـان
يا وراكهـا عواميد رخام

هذه المواصفات تشير الى أن المقياس الأول فى جمال المرأة الشعبية هو امتلاء جسمها ·

فالمرأة الشـــعبية الجميلة توصف بأنهـــا مكتنزة ، سمينة ، كحيلة العينين باسمة حلوة الخ ·

أما اذا كانت نحيلة العود فهناك أحد أمرين اما ان تتولى الأم وقريباتها تسمينها أو تتغنى بان جمالها يكمن فى عودها الناحل ، ومثـال ذلك الموال التـالى الذى يشـــبه المرأة الجميلة بالرمح ويقول آن هذه المرأة الجميلة هيفـــاء يقول الموال :

الأهيف اللى حـوى ورد الخدود وقنـــاه
وله قوام يزدرى خـير الرمـــاح وقناه
عينى تفيـض تجـــر الدموع وقنـــاه
أداه على من حوى هذا الجميل وقناه

والقاعدة آن توصف المرأة الجميلة بأنهـــا مكتنزة والاســـتثناء أن توصف بأنها هيفـاء العود ·

والمواصفات الجمالية الأخرى بجانب السمنة: هى الحضـــور الجمـالى ، أى يفرض جمالهـا الطبيعى نفسه على انتباه الآخرين ، اما عن طريق استغلال الفتاة الجميلة لجمالها فتســـير بخطوة موقعة لافتة للنظر ، أو تبدى من الدلال مايزيد من جمالها ، أو تختار من وسائل الزينة مايزيد من جمالها الطبيعى ، أو آن تكون خفيفـة الدم أخاذة ساحرة ·

وهنا أمثلة من الأقوال العربية الســـائرة فى عدد من البلاد العربية ·

فهذه أغنية صباحية ، تشير الى أن العريس بات ليلته مذهولا مأخوذا بين جمال عروســته الطبيعى ، وبين روعة زينتها وتجملها · تقول الأغنية :

على فرش المعجبانى ادألج الرمـــان
والشـــمس لسـه طالعة يا حبيبى نام
يا للى على كرسى خدك تصلح الزعـــلان
الحى فى فرشتهـا بيت مـــا رقد
عينـــه لقصتها ولضى الحـــلق
الحى فى فرشتهـا بات ما نـــام
عينه لقصتهـــا ولضى الزمـام (١)

(١) القـــلادة ·

وهناك دوبيت سودانى شهير يقول ، انه بالرغم من هبوب الرياح المحملة بالرمال ، الا أن الفتاة الجميلة مرت أمام الشاعر وسحرته بزينتها وبخلخالها الجميل ·

يقول الدوبيت :

الليله الصعيد جاب الهبوب مجلوبه
وطران اللى هل والجلسه فى الراكوبه
وشوف بنت الحرام زينوبا
والحجل اب بربعين خايل على مركوبه

ومثل آخر من السودان حيث قال شاعر شعبى شهير جدا عاش فى القرن الماضى اسمه « الحاردلو » يقول ان كل المصاغ الذى تتزين به الجميلة مجرد كلام لأنه لا يرقى الى مستوى جمال فتاته ·

يقول الحاردلو :

الماظ والحرير والجوهر المعزول
والدهب البجيبو من بنى شنتول (٢)
عندى حق صحا هو مجرد قول
ما يشابهن جمال خد أم حنانه بتول
شعرا ريش نعام والوجه سمح مصقول
وعنقاصب قزاز صانعنو فى اسطنبول
اكتافا هدل ولليد تقول مجدول
قامت فى القياس بين القصر والطول

ومثال من المشرق العربى :

من الأغانى الشعبية العراقية والمنتشرة فى بلاد الخليج أيضا نسمع الشاعر يصف الفتاة الجميلة بأن ثوبها مصنوع من الكتان المجلوب من يازما وانها تلبس خلخالا جميلا وتضع فى أنفها خزامة وانها تسرح كالظباء فى البستان ·

تقول الأغنية :

كتان كوتيك ليمش يانى يا زمالى
وشداته مجلوبه
توبوغى خلخالى
بورنو خيز مالى
فى محليها خلخال
وفى أنفها خزامه
السن أمه ديرش
يا غلار لزمه لى
تسرح فى البستان يدا بيد

وفى البادية تصف الأغانى الجمال الطبيعى للمرأة البدوية بأنها ضامرة الجسم ، فارعة العود ، مشدودة القوام ، ناحلة الوسط ، سريعة الحركة ، ذات عيون ساحرة ·

هناك أغنية بدوية شهيرة تقول :

يا بصيلات الجراى
يم الريق عسل على السنون جراى
يا معيليبا لا صابك رأى
جسمك ضامر سوط
مرقد جسمك جنه
والأجر عند الله

هذه الأنواع من الجمال الطبيعى تزيدها المرأة بأسلوب خطوتها ولفتاتها وتوقيع مصاغها · هناك أغانى معروفة تشير الى أن الفتاة اذا مشت هزت العالم كله وسحرت بنات الحور · وقد نكتفى بمطلع هذه الأغنية :

مسيكى بالخير يا مشمش طرى مبلول
تمشى تهز الفلك تسبى بنات الحور
وحياة من زين الرجبة وشرعها
أنا خاطرى فى وصالك مستحى ما أجول
أنا خاطرى فى وصالك مستحى ما أجول

بالاضافة الى ما سبق ، تشير المأثورات الشعبية الى دلال المرأة الجميلة كوسيلة من وسائل زيادة تأثير جمالها · والأمثلة كثيرة جدا متواترة فى أغانى البنات الصغيرات ، والبنات فى سن الزواج والخطبة وسنختار أغنية من

---

(٢) قرب الحبشه ·

النوع الخفيف جدا ، أى الذى لا يغرق المستمع فى الفاظ الدلال :

هذه الأغنية ، أغنية خطوبة تبدأ بأن يطلب العريس من العروس الجميلة أن تعطيه الرمان المزدان بحبات القرنفل وبقية الأغنية تأتى على لسان العروسة ·

رمان مرشج جرنفـــل يا منيتى أديـه لى

العروس الجميلة تســـوق دلالهـا تحذره وتقول :

خليك فى بلدك وأنـا آجى على مهـــلى
يا أعز من نور عينى ويا أغـلى من أهلى
واحذر تجينى تحت شباكى وتنـــده لى
أحسن يراءوك العوازل يفتنوا لأهـــلى
أهـلى كتار يا جميل ويكتروا مهرى

ننتقل من صفات الجمال الطبيعى وزيـادة سحره الى وســـائل التجميل ونسأل ما هى المواضع التى تســـتخدم هذه الوسائل فى تجميلها الجسم ، كله لكن أهم وأبرز مواضـعه هى الأجزاء الظاهرة التى لا تكسوها الأزياء كالشعر والوجه واليدين والقدمين ·

نبدأ بالشعر ونرى وسائل تجميله ·

الصورة الجميلة لشعر المرأة فى كل البلاد العربية هى صورة الشعر الناعم الكثيف الغزير الطويل الأسود الفاحم · واذن اذا كان الشعر مجعدا فلا بد من تمهيده ومقـــاومة تجـاعيده بواسطة الدهانات المختلفة واستعمال الحنـــاء والتمشيط والعناية بقصه وتضفيره ·

وأهم الدهانات المستخدمة شعبيا لتجميـل الشعر هى الزيوت المســـتخرجة من الخـروع والفول السودانى والدهن الحيـوانى ، وأنـواع من اللبن ·

ومنذ الطفولة يعتنى بتمشـيط الشـــعر· بأمشاط تختلف موادهـــا حسب مكانة المرأة وتبدأ بأمشاط مصنوعة من الخشب وتندرج الى أمشاط مصنوعة من المعادن الرخيصة أو المعادن النفيسة كالذهب والفضة · وفى حالة الأمشاط الثمينة تزين هذه الأمشاط بالجواهر وتعتبر من نفائس الصناعات اليدوية الجمالية وقد تركت لنا القرون السابقة مجموعة من هذه الأمشاط النفيســة التى كانت ذائعــة الاســتعمال منـذ العصر العثمانى والمملوكى الى بدايات القـــرن العشرين ·

وكانت العادة الى بداية هذا القرن أن يقص شعر الفتاة والمرأة بأسلوب يترك « قصة » على الجبين وخصلات من الشعر تنسدل على الصدغين أما بقية شعر الرأس فكانت تضفر ضـــفائر أحادية تتراوح بين ١١ ضفيرة و ٢٣ ضـــفيرة ، وتتخلل الضفائر خيوط من الصـــوف أو من الحرير ، وتنتهى الضفائر ، بمجموعة من صفائح المعادن النفسية كالذهب المطعم باللؤلؤ والمـاس أو الفضة المطعمة أيضا ·

ونسمع ونقرأ كثيرا عن جلوة الوجه ، وكان ذلك يتم باستخدام أنواع مختلفة من وسـائل تجميل الوجه منها أولا تنعيمه – أى جعله ناعما مشدود الجلد ·· بلا تجاعيد وذلك باسـتخدام اللبن فى تدليك الوجه أو اســـتخدام الزيوت العطرية أو ماء الورد أو قشـور بعض الفواكه والخضر ·

يأتى بعد تنعيم البشرة تجميلها بالمعـــاجين والمساحيق الشعبية ومنهـا الحسن يوسـف ، وغيره مما كان العطـارون يجهزونه من المـواد النباتية والحيوانية الموثوق بتأثيرها ·

لكن يبدو أن الاهتمام الأول كان منصرفا الى تجميل العيون – وذلك فى البلاد العربيـة كلها · والسبب الأول فى تقـديرنا ان الجزء الذى كان مسموحا بظهوره حين تلبس المـرأة الشعبية كامل ثيابها وتغطى جسمها كله من القدم الى الرأس – هذا الجزء كان هو العيون ·

ولقد لفت بعض الرحالة الأجانب العيـــون العربية والمصرية ،

ولقد لفت جمال العيون العربية والمصرية بعض الرحالة الأجـانب ، ومنهـم ادوارد وليـام لـين الذى مكث فى مصر ثلاثة أعوام وألف كتـــابه الشهير عن طبـــائع وعادات المصريين المحدثين وقال فيه :

« لم أر فيما رأيت عيونا أجمل من العيـــون المصرية ، وبزيدهـــا جاذبيـة احتجـاب الملامح

بالنقاب (اليشمك) كما يزيد الكحل من سحرها ·

ولكن ما هى قصة الكحل بالذات ؟ ومتى بدأ الانسان العربى فى استخدامه ؟

فى الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية كان الرجال والنساء يكتحلون للتجميل أو لمعالجة أمراض العيون ·

وفى مصر الفرعونية وفى العراق والشام قبل البعثة المحمدية ، كان الرجال والنساء يكتحلون للأغراض السابقة · واذن فاستخدام الكحل قد بدأ ربما قبل ميلاد التاريخ المعلوم لنا ·

وكلمة الكحل المستخدمه حتى الآن ، كلمة عربية ذائعة وموجودة فى كافة اللهجات العربية لكنا نسمع فى العراق مثلا كلمة « سورمه » فى مقابل كلمة الكحل ·

وهناك ثلاثة أنواع رئيسية من الكحل : اثنان منها يستخدمان للزينة · الأول يصنع من سناج اللبان العطرى المحروق ·

والثانى يصنع من سناج قشر اللوز المحروق وهذان النوعان للزينة ·

أما الكحل المستخدم فى الطب الشعبى فهو المعروف بكحل الحجر ويصنع من مسحوق الرصاص الذى يضاف اليه عرق الذهب والسكر النبات ومسحوق اللآلىء وبعض الأحجار الكريمة الأخرى ·

وكان النساء يبدين اهتماما خاصا بنظافة الكحل وأدواته ·

والنساء الموسرات والفقيرات كن يستخدمن أنواعا مختلفة من المكاحل · المرأة الموسرة كانت تملك عددا من المكاحل الذهبية والفضية تضع فيها الكحل · وكانت هذه المرأة تستخدم عددا من المراود الدقيقة المصنوعة من الذهب أو الفضة أو المعادن أما المرأة غير الموسرة فكانت تستخدم مكاحل رفيعة ومراود من الخشب ·

وكانت العادة أن تغمس المرأة المرود فى ماء الورد ثم تغمسه فى الكحل وتمرره برفق بين الجفون وترسم به ما تشاء من ظلال فوق جفونها أو تطيل به آخر عيونها ، أو تستخدم الكحل فى تثبيت وابراز حاجبيها ورسمهما على شكل هلال أو آن تجعلهما معقودين متصلين أو تفصل بينهما بنقطة ·

وكانت المرأة الموسرة تستخدم الكحل أيضا فى رسم الخال على خدها ، ذلك اذا لم تكن تستخدم الوشم ·

وكانت المرأة تستخدم ماء الورد بكثرة فى تدليك ساعديها وساقيها وعنقها ووجهها ·

وكانت العادة أن ترش على ضيوفها من ماء الورد عندما يغادرون منزلها ·

وكانت المرأة تجمل الأطراف التى كانت تظهر من جسمها خارج ثيابها الفضفاضة وأهمها اليدين والقدمين · وكانت وسائل تجميل هذه الأعضاء تتم أولا بتنعيم البشرة بواسطة تدليك اليدين والأصابع بماء الورد والعطور والدهانات الخاصة بذلك ثم يتم تجميلهما بالخضاب – أى الحناء – التى كانت النساء يصنعنها من مسحوق أوراق الحناء المعجون بماء الورد · ويأتى مع ذلك الوشم · الوشم على ظاهر اليد والأصابع ، والذقن والشفاه وأعلى الجبين · ويأتى مع ذلك ، استخدام الخواتم التى كن يلبسنها فى كافة أصابع اليدين والقدمين ·

ويأتى مع ذلك أيضا لبس المصاغ الخاص بالبدن والقدمين ·

أشرنا اشارة عابرة الى الوشم · كيف كان يتم وكيف كان يعالج وما هى ألوانه المحببة ؟

يوخز الجلد بمجموعة من الابر لترسم نمطا معينا من الزخارف وعدد الابر فردى سبعة ابر ، ثم يدلك الجزء الموشوم بالزيت المخلوط باللبن النسائى وبعد فترة قصيرة توضع على مواضع الوشم أوراق السلق الطازجة لتبرأ جراحة ·

أما الألوان المحببة ، فأشهرها اللون الأزرق، لكن النساء الشعبيات كن يفضلن اللون الزيتونى الغامق – وقد ظل ذلك المزاج ساريا حتى وقتنا هذا ويستوى فى ذلك المرآة البيضاء والسمراء

وكلما فحصنا عادات التجميل الموروثة عند المرأة الشعبية اتسع ميدان الحديث ·

وخلاصة ما قرأت وما شاهدت من اهتمام المرأة بتجميل نفسها أؤكد ان المرآة الشعبية هى الأكثر اهتماما بابراز جاذبيتها الجمالية الطبيعية أو المكملة لجمالها الطبيعى عن أختها المرأة الحديثة العاملة ·

والأسباب التى تدعونا الى أن نرى هذا الرأى هو ان المرأة الحديثة وخاصة العاملة ، تستخدم أنماطا مصنعة جاهزة ، وتغيرها باستمرار حسب تغير المودات · وليس لديها الوقت أو الخبرة اللتان تسمحان لها بأن تختار وتصنع بيديها وسائل تجميلها وأسلوب تجميلها ·

انها فى الحقيقة تفضل جمالها الطبيعى فى قوالب يرسمها خبراء التجميل الأجانب من الرجال والنساء لتدفع بها الماكينات بعد ذلك بملايين العلب والمعلبات – تماما كما يحدث فى الأطعمة المحفوظة ·

المرأة الشعبية الموسرة بالذات ، لم تزل حتى الآن تولى عناية شخصية بجمالها ، وهذه العناية لها أكثر من صفة ·

أولا : صفة التناسق بين مستخدمات التجمل وهيئتها الخاصة بها ·

وثانيا : صفة الاستمرار ·

وثالثا : صنعة الخبرة المتراكمة أجيالا بعد أجيال بكيفية تجميل مختلف أعضاء الجسم ، لتناسب الأوقات والأماكن والمناسبات التى تتألف منها حياتها اليومية ·

ولعلنا نلاحظ أن المرأة الشعبية الموسرة تقضى وقتا أطول بكثير فى التجميل – سواء فى أوقات الاستحمام أو أمام المرآة – أو أثناء اعداد الثياب المناسبة واختيار المصاغ والاكسسوار المناسب ·

● ● ●

واضح ان موضوع التجميل واسع جدا وقد تكلمنا على الجانب النسائى ويبقى جانب الرجل والطفل والصبية أو الصبى ·

وتجميل الأشياء المنزلية والمستخدمات وكلها تعنى الكثير بالنسبة لحياة الملايين لأن التجميل ليس غرضا فى ذاته بالنسبة للحياة الشعبية وانما هو :

أولا : تعبير عن الممارسات المتفائلة للحياة ·

وثانيا : لأنه موروث محمل باشارات اعتقادية وأسطورية غاية فى الأهمية بالنسبة لمن يستخدمه ، وبالنسبة أيضا لمن يدرس سلوك الجماعات الشعبية بل القيم الثقافية والأخلاقية التى تحكم مسار حياتهم ·

التزين عند الرجال

وأزياء المرأة والرجل

هل نجد فى المأثورات الشعبية العربية ما يشير الى اهتمام الرجل بالتزين ؟

فى الحياة منذ أزمان بعيدة – أى منذ ما قبل البعثة المحمدية ، نجد فى الأشعار والمأثورات الفصيحة ما يشير الى تزين الرجل واختياره لأزياء الفروسية والحياة العادية ·

أما المأثورات الشعبية فتقدم اشارات الى تأنق الرجل الموسر على امتداد السنة والرجل الشعبى فى المناسبات المهمة ، وهذا طبيعى جدا فالسعى الى الأناقة أو التجمل ، سلوك طبيعى وتلقائى عند المرأة والرجل ·

وأقدم وسائل التجميل وأكثرها استمرارا عند الرجل هى الخضاب · خضاب الشعر الأشيب أو الأسود ·

والوشم ووحدات الوشم تختلف من بيئة الى بيئة ٠

والكحل للعيون

وطريقة قص الشعر أو ارساله ٠

وتزين الرجل الفتى ورشق السهام فى عمامته واستخدام بعض الحلى وأقدم المأثورات الشعبية العربية التى أشارت الى عناية الرجل بالتزين ، اقدمها فى تقديرنا موجود فى السير وقصص البطولات والغنائيات العاطفيه التى ظهرت فى المغرب والأندلس وكان أبو بكر بن قزمان ـ صاحب اليد الطولى فى هذا الفن ومنشئه ـ قد وضع مواصفات الفتى العاشق فى أحد أزجاله فاشترط فيه أن يكون **أنيقا** ٠ فى ملبسه وزيه ، وقال أنه يكره « العاشق المزبلى » وهذا هو تعبيره ٠ أى انه يكره أن يرى عاشقا يلبس ثيابا زرية أو أن يكون مهملا فى نظافة بدنه أو مظهره ٠

وفى النص الشفاهى لسيرة الهلالية ـ وهى الموجودة فى صعيد مصر واليمن والشمال العربى الأفريقى ـ نجد ثلاثة نماذج للفتى الشجاع ـ الأنموذج الأول يمثله **الخفاجة عامر** وهو أحد الأمراء ، الذى يوصف بجمال الطلعة وعنايته بهندامه ٠ والأنموذج الثانى يمثله دياب بن غانم وهو المقاتل الشرس ، الذى تروى السير أنه عاش فى البرارى مرسلا شعر رأسه ولحيته يتدرب على فنون القتال ، وكان ارساله لشعره الطويل ، علامة من علامات الفروسية والأنموذج الثالث نجده فى الرسوم التى رسمها الفنان الشعبى ، لابطال السير كعنترة وسيف بن ذى يزن ، والظاهر بيبرس وأبى زيد الهلالى وقصص الجندبة وقتاله الشجعان ٠

فى كل هذه الرسوم ، نجد أن كافة الرجال ـ أى أبطال القصص والملاحم يظهرون بشوارب طويلة كثيفة ، حتى أن بعض الرسوم والأشعار تقول لنا ان دياب فعلا كان يعقد أطراف شاربه وراء عنقه ، ومن الأقوال المتواترة ان فلانا من الأبطال كان له شارب يقف عليه الصقر ٠

بقى من العصور الجاهلية والاسلامية وسائل الخضاب والكحل ونضيف اليها وسائل أخرى جاءت الى المنطقة العربية مع غارات التتار والمغول والمخالطة بينها وبين أهالى البلاد العربية الأصليين نحن نعرف مثلا ان العامة فى البلاد العربية يقصون شعر رأس الصبى بحيث يتركون **قصة** فى مقدمة الرأس ويجعلونه على شكل دائرة عند النافوخ ويتركون بقية الشعر ٠

وتفسيرنا لهذه الأشكال ان بعض الذين درسوا العادات الشعبية المصرية والعربية يقولون لنا ان قبائل التتار كانت فى غاراتها الوحشية تقتل الناس بلا تمييز بأن تفصل الرأس عن الجسم ، وان العامة لجأوا الى ترك خصلة مميزة فى مقدمة الرأس حتى اذا انفصلت الرأس عن جسم صاحبها أمكن التعرف عليه أو أمكن أن يعرفها أهل القتيل فيقومون بدفنها وبعضهم يقول ان لهذه القصة ، غرضا سحريا أما ترك قرنين من خصلات الشعر على صدغى الصبى ، فعادة موجودة عن القبائل التترية ولعلها مأخوذة عن بعض العشائر الجاهلية ، التى كانت ـ تتخذ قبل الاسلام ـ من الحيوانات الوحشية رمزا مقدسا لها ، وفى العادة كان الحيوان المفضل هو الحيوان ذو القرنين ٠

ولا ننسى أن الاسكندر المقدونى كان يسمى ذو القرنين ، لأن طاسة الحرب التى كان يلبسها كان لها قرنان ٠ وأما الدائرة الحليقة فوق النافوخ المستعارة من عادة تتريه وغجرية ـ فنعتقد ان لها غرضا سحريا ٠

واذا انتقلنا الى أزياء النساء وأزياء الرجال الشعبيين سنجد أنفسنا أمام مواكب وكرنفالات من الأزياء الشعبية المستخدمة الآن فى مختلف أنحاء البلاد العربية ، وتلك التى كانت مستخدمة الى خمسين أو سبعين سنة مضت ٠

الحقيقة أن الأزياء الشعبية تتنوع تنوعا شديدا وغزيرا :

أولا : حسب المرحلة التاريخية وحسب البيئة الجغرافية وحسب العادات والتقاليد وحسب الوضع الاجتماعى للرجل أو المرأة ٠٠ وأمام هذا سنجد أنفسنا كما قلنا

أمام مئات من الأزياء ومئات من قطع الاكسسوار ·

وهذا طبيعى فعلى امتداد البلاد العربية سنجد فلاحين لهم أزياؤهم ، وبدو لهم أزياؤهم ، وأصحاب حرف يدوية لهم أزياؤهم ، وتجار أو أعيان أو علماء دين لهم أزياؤهم ، وأغنياء لهم أزياؤهم وغجر رحل لهم أزياؤهم ورعاة أو صيادين لهم أزياؤهم ·

وسنجد أن القاعدة التى تحكم التنوع الشديد بين هذه الأزياء هى :

أولا : الوظيفة التى يؤديها الزى بالنسبة للمناخ وطبيعة العمل أو الوجاهة والأناقة ·

وثانيا : المزاج العام – فالمثل الشعبى يقول « كل اللى يعجبك – والبس اللى يعجب الناس » ·

أى ان المزاج العام أو الذوق العام – أو المودة – هى التى تتحكم أيضا فى الزى ·

ولنبدأ من قمة المجتمع ونسأل عن أهم الأزياء التى كان يلبسها أصحاب المكانة الاجتماعية أو السلطة الاجتماعية والدينية ·

لدينا شهود كثيرون رأوا بعيونهم أنواع هذه الأزياء ·

ونكتفى بما أشار اليه على مبارك فى الخطط التوفيقية وما قاله الرحالة العربى الكبير ابن بطوطة ·

قال لنا على مبارك :

كان السلطان (سلطان المماليك الذين كانوا يحكمون مصر والشام وأنحاء أخرى من الوطن العربى) وكان العسكر يلبسون على رءوسهم الكلوته بدلا من العمامة ·

وكانت العادة أن تكون الكلوتات صفراء مضربة تضريبا عريضا ولها كلاليب وكانوا يضفرون شعورهم الطويلة ويرسلونها بين أكتافهم ، وهى موضوعة فى أكياس من الحرير الأحمر أو الأصفر ·

أما كبار علماء الدين وكبار القضاة · فكانوا يلبسون العمائم الضخمة وكانت الطرحات بالذات من شارات أزياء القضاء ·

وفى عصر المماليك بمصر والشام كانت الطرحة والعمامة وشال العمامة تصنع كلها من قماش من الحرير أو الكتان أو الكشمير ·

وكانت ضخامة العمامة تشير الى المكانة الاجتماعية لصاحبها ·

يقول ابن بطوطة :

« لم أر فى مشارف الأرض ومغاربها عمامة أعظم من عمامة قاضى الاسكندرية عماد الدين السكندرى ، رأيته يوما قاعدا فى صدر محراب وقد كادت عمامته ان تملأ المحراب كله » ·

وفى العادة كان زى الرجل يتألف من قميص وسروال وصديرى ، فوقها قفطان وحزام يشد الوسط وجبة ·

وكانت قمصان الوجهاء وثيابهم من الحرير وأما قمصان العامة فكانت مصنوعة من الكتان أو التيل ·

نأخذ أجزاء الزى الرجالى قطعة قطعة ونبدأ بالحزام ·

الحزام كان يستخدمه الأعيان ورجال الدين والتجار وكان الحزام قطعة من قماش الحرير أو الكشمير ، عرضه متر وطوله ثمانية أمتار .

ونقرأ فى وصف الأزياء الشعبية كلمات تحتاج الى شرح مثلا كلمة : كرك السمور : عبارة عن معطف من الحرير أو الجوخ يلبسه أصحاب المقام الاجتماعى الرفيع والعلماء ·

ونقرأ فى كتب المؤرخين والرحالة عن القلانس: وهى طاقية تلبس تحت طربوش من الصوف مصبوغ بلون ، وحول الطربوش يلف شال العمامة ويكون من الصوف أو الحرير المشغول.

وأيضا نجد أن ألوان العمائم كانت مختلفة : كان المسلمون يلبسون العمائم البيضاء والحمراء والخضراء وغير المسلمين كانوا يلبسون العمائم

السـوداء والبنفسجية وذات اللون الأحمر الغامق ·

ونقرأ ونسمع أيضا عن كلمة المز أو المزد · لم يكن الأعيان أو العامة يستخدمون الجوارب، لكن الأعيان كانوا يلبسون خفا مصنوعا من جلد رقيق لاصق بالقدم وفوقه يلبسـون المركوب ذا اللون الأصفر ·

أما ثياب الفلاحين فكانت أبسط وهى الموجودة حتى الآن : القميص والسروال المصـنوع من الكتـان وفوقهمـا العرى ـ وهو قميص أزرق يضبطونه بنطاق (حزام) من الجلد أو الليف أو القماش ، ويضعون على رءوسهم الطواقى أو اللبدة ـ وفى المناسبات المهمة يلبسون الزعبوط أى العباءة ·

وأهم الأزياء المشتركة بين الرجال والنسـاء كانت : غطاء الرأس الطربوش ، والطاقيـة والحزام ، والمز أى الحذاء الداخلى ·

وكانت النساء الموسرات يلبسن قمصانا من الحرير الموصلى ، وكانت أحب الألوان اليهـن هى الأبيض والوردى والبنفسجى والأصـفر الباهت والأزرق السماوى والأسود ·

وكان النساء يطرزن هذه القمصان بأسـلاك الذهب اللامعة ·

وكانت القمصان قصيرة لا تصل الى الركبة· وهناك الشنتيان وهو نوع من القماط المصنوع من قماش عريض يناط بالخصر ويشد بتكة تمر فى باكية بأعلى الشنتيان ·

وفى المواويل الشعبية نسمع كلمة اليلك ، وهناك موال مصرى كان ذائعـا الى وقت غـير بعيد يقول :

يـا بت يا يـم اليلك
والهـلالى بيلالى
ون كان أبـوك الملك
ومحـرش الوالى
لا دق أنـا طبـلتى
واقـول لك أنا الوالى

وأما اليلك فعبارة عن ثوب يلتصق بالقـامة فى الوسط وينسدل الى القدمين ·

وكانت المرأة المعجبانية تتفنن فى صنع اليلك الخاص بهـا فكان بعض النسـاء يجعلن اليلك مقورا لا يغطى النحر ويضعن أزرارا أمامية ويجعلنه مفتوحا من الجانبين ·

وفوق اليلك كن يلبسن حزاما يخاط عنـد الوسط أو كن يستخدمن شالا من الكشمير ، ثم كن يلبسن فوق اليلك جبة من الجوخ شتاء ·

وهذه الأزياء كانت المرأة تلبسها داخل البيت أما خارج البيت فالنساء كلهـن يلبسـن الحبرة التى تغطى الجسم كله وتستر كل أعضاء جسم المرآة ما عدا عينيها · أو اليشـمك الذى كان ينزل الى القدمين وكانت الفتاة قبل الزواج تلبس الحبرة السوداء ·

والمرأة الموسرة والشعبية كانت مولعة جـدا بتزيين كل قطعـة من المـلابس التى كـانت تستخدمها ·

وكان بعض النساء يلبسن الطربوش المغربى وكان هو الغطاء الأعلى لرأس المرأة ـ فالنساء كن يلبسن تحت الطربوش طاقية خفيفة ، وحـول الطربوش كن يستخدمن الربطة أو المنديل الحرير المزين بصفائح من الفضة المذهبة ·

وكانت المرأة تستعمل المزاجى وهى حليـة تتكون من شريط أسود اذا كانت السيدة بيضاء أو من شريط وردى اذا كانت سمراء · وكانت المزاجى تطوى طيات لتكون رباطا بعرض الأصبع أما طولها فخمسة أقدام ·

وكانت تزين فى وسطها بصفائح متلاصـقة من المعادن النفيسة أو الرخيصة وكان لهـا شراريب ·

وكانت المزاجى ليست للتجميل فقط ، بل رباطا للرأس ليلا ونهارا وأحيـانا كانت المرأة تصاب بالصداع اذا لم تستخدم هذا الربـاط للرأس ·

وكان القرص جزءا لا يتجزأ من زينـة أزياء المرأة ، والقـرص عبـارة عن حليـة مستديرة

كان قطرها يتراوح بين ٣ بوصة و ٥ بوصة ٠ وكانت عقائل السيدات يستخدمن الأقراص بعضها مصنوع من الماس الخالص أو الذهب الخالص أو الفضة وأحيانا كانت السيدة المعجبانية تجعل القرص على شكل وردة أو كانت تجعل شكله محدبا تتوسطه زمردة ٠

وكانت المرأة تستخدمه ليل نهار ، لكن كان القرص المستخدم نهارا أثقل من القرص المستخدم ليلا ٠

وأهم قطع الاكسسوار الأخرى : القصة والعنبة والشواطح والهلال ٠ والقصة حلية يتراوح طولها بين سبع وثمانى بوصات وتتكون من ماسة مركبة من ذهب يضاف اليه أحيانا الزمرد والياقوت واللؤلؤ وتعلق بها أقراط الماس وتوضع فى مقدمة الربطة ولثقلها كانت تربط بأبازيم من الخلف ٠

والعنبة نوع من القصة لكنها أكبر ، أى طولها كان ١٥ بوصة ٠

والشواطح حليتان تتكون كل منهما من ثلاثة صفوف من اللؤلؤ أو المعادن النفيسة تجمعها فى الوسط زمردة مثقوبة ٠ وتثبت الشواطح بالربطة على هيئة اكليلين كل واحد منها كان ينزل على جانب من جانبى الرأس والهلال حلقة تشبه القمر فى أوله وكانت تستخدم بدل القرص والمأثورات الشعبية تقول عن **أزياء الرجل والمرأة العادية يعنى غير الرجل الثرى والمرأة الموسرة ، نجدها تذكر فى الأمثال كلمات الجلابية والبشت والزعبوط واللبدة والمركوب والعب (أى القميص التيل الأزرق) وحزام الليف وكل ذلك للرجال ٠ وتذكر الجلابية ، والطرحة والحزام والملابس الداخلية الشعبية القميص ٠٠ الخ بالنسبة للمرأة ٠**

وأما اكسسوار النساء غير الموسرات فهو الخلخال الفضة أو النحاس والطوق الفضة أو النحاس أو القصدير والأساور النحاس ، والغوايش الزجاجية الزرقاء والخضراء خاصة ٠

أشرنا اشارة عابرة الى أزياء الرجال والنساء العربية فى العصور الجاهلية وصدر الاسلام ونأتى بتفصيل أكثر ٠

كان زى المرأة العربية يتألف من :

الشعار : قميص يلبس لصق الجسم وفى حالة الحداد كانت المرأة تصنعه من الصوف الخشن كالخنساء التى ظلت تلبس هذا الشعار قبل الاسلام وبعد أن أسلمت حزنا على أخيها صخر ، الذى كانت قد عاهدت نفسها على أن تحزن عليه طول عمرها وتبكيه بفرائد من أبيات الشعر منها مثلا :

وان صخرا لتأتم الصلاة به

كأنه علم على رأسه نار

وغير الشعار كانت المرأة تلبس قميصا آخر مشقوقا عند الصدر وفوق هذا القميص كانت تلبس الدرع أو الدثار ثم الربطة أى الملاءة ٠

وعند خروجها كانت تلبس الازار وهو قطعة من القماش كانت تلتف بها النساء العربيات عندما يبرزن أمام الغرباء ٠

ولكنا نقرأ فى كتب التراث العربى عن جلباب المرأة وهو ملحفة كانت المرأة تلتف بها وتغطى جسمها كله من الرأس الى القدم ٠

أما **الصدار** فهو قميص صغير يلى الجسم مباشرة ٠

والآن تلبس المرأة فى معظم البلاد العربية المتمسكة بالتقاليد الموروثة الكثير مما ذكرناه فى داخل بيتها ٠ وتلبس **الدشداشة** (أى الجلباب الطويل) والعباءة اذا خرجت ، ومنها العباءة ذات البلابل المصنوعة من الفضة أو من خيوط الحرير كما تلبس أنواعا مختلفة من النقاب ٠

وأبرز أزياء الرجال الدشداشة (جلباب طويل) وفى العراق وبعض البلاد العربية العقال والعباءة ٠

وفيما نعرف أن هناك أنواعا للعقال : منها العقال أبو طيتين ، والعقال المرعز ـ الرفيع المصنوع من شعر الماعز والعقال الشطراوى المصنوع من الصوف والعقال الأبيض المصنوع من الوبر ٠

والسؤال الآن هل نجد فى المأثورات الشعبية المصرية عملا متكاملا يصف عادات الفلاحين وأزياءهم ؟

هناك كتاب ساخر جدا يزرى بالفلاحين، اسمه « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » أى الفلاح ، وبالرغم من أن الكتاب جارح للغاية فى سخرياته بالفلاحين الا أنه يذكر أزياءهم وأهمها العب ، والعرى ، واللبدة

ومؤلف هذا الكتاب هو **يوسف الشربينى** ووضعه بهذا الأسلوب الساخر الجارح لأنه يقال انه كان يملك قطعة من الأرض الزراعية التى كان الفلاحون يأكلون خيراتها بالسحت ولا ينال هو منها شيئا ولذلك وضع كتابه هذا انتقاما من الفلاحين لكن الذين يدرسون المأثورات الشعبية لا يستطيعون أن يسقطوا من حساباتهم كتاب «هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف» كما أنهم لا يسقطون من حساباتهم كتاب « الفاشوش فى حكم قراقوش » لابن مماتى الذى سبق الاشارة اليه فى كتابات سابقة .

* * *

الهيئة المصرية العامة للكتاب